

## الإهداء

إلى الذين ينشدون آفاق الإصلاح  
ويتوقون إلى الحرية.

إلى من يرون أهمية كبيرة في خلق جسور تواصل بين  
الشعوب الشرقية والغربية.

إلى الذين يعشقون الأدب ويمنون النفس في تذوق  
حلوة الثقافة الفارسية.

إلى الذين يتعطشون للنهل من روان الرواية الحداثية.

إلى كل من يهوى سبر أغوار الماضي واستقراء الآفاق  
المستقبلية.

إلى كل هؤلاء أهدي جهدي هذا الذي أضاء ليلى نجوماً  
سماوية، وأنس نهاري فأضحتي الحلم روایة واقعية.

د. نعيمة محمد شكر





## تقديم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى نِعْمَ الصَّحَّةِ، وَالْأَمَانِ، وَالسَّلَامِ.

وَبَعْدَ،

فَمَاذَا يُرِيدُ «أَحْمَدُ مُحَمَّدٌ» مِنْ قارئِ روايَتِهِ «الْأَرْضِ الْمُحْرُوقَةَ»؟  
وَمَاذَا يُرِيدُ لَهُ؟

قَدَّامَنَا روایةً مأساة، تصوّر فاجعةً من فجائع الزمان المهوّلة، وقت أُحمى للحرب وطيس معروفة زندهُ أين كان، ومن أوراه. ومتنى لم تكن الحرب مصيبة المصائب، ونائبة التواب؟!

فَمَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيُفْسِدُ الْدِمَاءَ؟ ذاك هو الإنسان العَجُولُ، الْهَلُوعُ،  
الْجُزُوعُ، الْمُنَوْعُ.

فَوَيْسِفُكَ الْدِمَاءَ؟ عادةً اعتادها، غير مضطرٍ فيها إلا إلى تبريرها  
وتعليلها. وما أسوأ الكذب في شفتِي الخنجر الغادر!

في هذه الرواية، يتنهَّ المؤلف عن الترويج لأحد على حساب آخر. إنه ليس إيرانيًّا، ولا أهوازيًّا، ولا مؤيدًا نصيريًّا، ولا عدوًّا للodox.

يتخلّص من بطاقَة «الهُويَّة»، ويطرح جانباً لغته، ويُخْبِئ دينه ومذهبَه،  
ويستر عاداته وتقاليده وأزياءه وما يملك، ليتجلى بِإنسانيَّته. إنسانيَّته المتألّمة الموجعة، التي انفجرت فيها الحرب، فتمزقت أحزاناً، ودموعاً،  
وأَسَى، ورعباً، وركاماً، ودماراً، ومقابر عَدَّث طرقاتها الماتم.

«أَحْمَدُ مُحَمَّدٌ» في أرضه المحروقة واقعيٌّ، وواقعٌ بصدقها مخيفٌ.





١٠

يصور الحرب بألوانها القاتمة، ولا يدعى بطولة أو ترققاً على الجراح. يفتح العيون على رماد الفاجعة قبل أن تنشره رياح الدهر في بلاque النسيان. ولعل بُعيته واحدة: أن يعيش الإنسان - وهو على وثير فراشه يقرأ، وفي أثير أيامه - فيما يعنيه النار وال الحديد من كارثة.

لماذا؟ كيلا يقيء الدهر ما ابتلعه من حروب حرباً جديدة.  
وأنت ذلك؟!

في «الأرض المحروقة» مشاهد لبلاد «إيران» الخارجة لتتوهَا من ثورتها الباهظة الشمينة العزيزة. مشاهد لرجال لم يكونوا يوماً أدقّ حلاً، ولا أرقى فعلاً ومقالاً. ترى فيهم من امتزجت السماء بلحمه حتى تمثلت فيه إيثاراً أسطوريّاً، ومن لا يعرف الدين إلا متجرّاً مربحاً، انتهاجاً للمضطّر، وسحقاً للفقير المعترّ.

ترى المدمَن على الأفيفون. وهل كانت «إيران» الشاه إلا معبراً عالمياً للمخدّر، وسوقاً مربحةً للساقطين؟! ولا تكاد تحكم على المدمَن؛ فهو لا يهوى أفيونه بقدر ما صار عاجزاً عن التخلص منه.

في هذه الرواية حواسٌ تلتقط العالم صورةً، وصوتاً، ورائحةً، وملمساً، وأساليب عيش بسيطة مأنوس بها، لها أدواتها المنزلية، وهمومها التي يكبسها العمل والوظيفة على كاهلها، وأخبارها المذاعة على أثير ضعيف.

هنا ترى العاشق، والشهيد، وأخا الفقيد، والجريح، والطبيب، والأم البطلة، والتكلّى، والفار إلى مخيّم «التهجير»، والعائد منه اللاذ بالشرف في أرض الأهلين.

تسمع طائرات «الميغ»، وقذائف الدبابات، والصواريخ، ورصاص البنادقيات، والصرخ، والآنين، والضحكات، ووقفة الدجاج، وصياح الديكة، وأغاني المطر.

ومن حق القارئ أن يقول وهو يقلب صفحات الغمّ والكدر: قد اكتفيت! شبعـ هـماً، وبؤـساً، وقلـقاً. امتلـأت خـوفـاً وجـعاً. فإنـ فعلـ، فقد أقرـ للكـاتـ بالـنجاحـ فيماـ يـريـدـ.

فـإـمـاـ فـرـغـ مـنـ القرـاءـةـ، فـلـيـخـرـجـ يـدـهـ مـنـ ذـاكـ المـاضـيـ المـحـمـرـ المـادـعـ، وـلـيمـدـدـهـ إـلـىـ

الـمـسـتـقـبـلـ، لـيـسـتـقـدـ مـنـ يـسـطـعـ إـنـقـاذـهـ مـنـ اـضـطـرـامـ صـرـاعـ، وـاـصـطـلـاـمـ فـيـ نـزـاعـ.

ولـيـقـلـ: الحـمـدـ لـلـهـ عـلـىـ نـعـمـ الصـحـةـ، وـالـأـمـانـ، وـالـسـلـامـ.

الحرب: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيُ النَّاسِ﴾.

والحرب: ﴿هُوَلَّا دَفْعَ اللَّهُ إِنَّ النَّاسَ بَعْضُهُمْ يَبْعُضٌ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾.

وشتان ما بين اعتداء ودفاع!

طارق إسماعيل إدريس



## التعريف بالرواية

صوّرت رواية «الأرض المحروقة» اللحظات والأيام الأولى للحرب التي شَهَّاها العراق على إيران، ومسرح الرواية هي منطقة في الجنوب بالقرب من الحدود، وهي منطقة الأهواز التي يصوّر الكاتب موطها وانبعاثها لحظةً بلحظة، ويصوّر أيام الحرب بكلّ وحشيتها ومرارتها، الدمار والقصف، موت الأصحاب والجيران الواحد تلو الآخر، فقد الأحبة، تدمير منزل العائلة، منازل الجيران، نزوح عائلته خوفاً من وباءات الحرب التي أخذت تزحف بشبّحها إلى قلب المدينة، إلى شوارعها وأرصفتها التي تحولت أبواب منازلها إلى دشِّ ومتراسِ. وبروي الكاتب غلاء المعيشة، نقص المواد الغذائية، حيرة أخيه وانتشار الأسلحة بين أيدي الناس رجالاً ونساء، كباراً وصغاراً. ثم يصف حالة الضياع والقلق آنذاك وعدم وجود ما يكفي من السلاح للدفاع عن المدينة واندفاع الشباب المتحمّس للشهادة، ويصور نفسه شاهد عيان من فعل، يدخن دائماً، يتعدد إلى المقهي ليطّلع على مجريات الأحداث التي شهدت الكثير من صور النضال والمبارزة، والاستغلال ونهب الثروات، وشهدت جيلاً روى بدمائه الشوارع والطرقات.

وكان الشيء الأساسي والغالب على مجريات الرواية هو الحرب، القذائف، الرصاص، الصواريف، الدمار، الموت المجاني.

### هوية أحمد محمود الأساسية

ولادته: أبصر «أحمد محمود» النور في مستشفى «مهرداد» في طهران يوم الجمعة من العام ١٩٣١م، ونشأ في مدينة الأهواز الإيرانية





١٤

التي تقع جنوب إيران، وأنهى المرحلة الابتدائية فيها.

حياته: التحق «أحمد محمود» في ريعان شبابه بالكلية الحربية وكان واحداً من مؤيدي الحزب الشيوعي الإيراني قبل قيام الثورة الإسلامية، وقد تم اعتقاله في زمن الشاه عدّة مرات ثم وضع قيد الإقامة الجبرية في مدينة «بندر لنجة» وتعذر روایته «شجرة التين» وهي آخر روایاته تلخيصاً لحياة المنفى والمحصار الداخليين.

وبعد خمس سنوات من السجن أفرج عنه ليدخل المعترك السياسي بحثاً عن انطلاقة جديدة ارتسمت معالمها في مجموعة من القصص والروايات كتبها أحمد محمود لتشكل قفزة نوعية في تاريخ الأدب الإيراني المعاصر الذي شهد العديد من صور النضال وإبان الثورة الإيرانية.

من آثاره: بدأ أحمد محمود بنشر أعماله الإبداعية منذ العام ١٩٥٧ م. لكنه لم يلتفت إليه النظر إلا بعد العام ١٩٧٤ م. عندما صدرت روايته الشهيرة «الجيран» التي قال عنها الناقد الإيراني (جمال مير صادق) إنها أفضل رواية فارسية. واستطاع أحمد محمود في قصصه ورواياته تبيان وقائع الحركات الاجتماعية ونضال دعاة الحرية بشكل حيٌّ ومؤثر اعتمد فيه معيار الواقعية كمبدأ في كتاباته وكانت أولى مجموعاته القصصية بعنوان «مول» أي «العاشق» التي صدرت في العام ١٩٥٩، و«ابن الزنا»، و«البحر ما زال هادئاً» الصادرة في العام ١٩٦٠ م. و«بلا فائدة» الصادرة في العام ١٩٦٢ م.؛ و«زائر تحت المطر» الصادرة في العام ١٩٦٧ م.، و«الولد المحلي» و«الغرباء» اللتين صدرتا في العام ١٩٧١ م<sup>(١)</sup>.

وبعد إبداع أحمد محمود في روايته الجiran صدر له في العام ١٩٧٩ «قصة مدينة» و«مدار الدرجة صفر» و«الإنسان الحي» و«شجرة تين المعابد» ورواية «تحت المطر» الصادرة في العام ١٩٨١ م. والتي ترجمت إلى اللغة الألمانية مع رواية «ابن البلد» وهناك روايات تم عرضها بعد تمثيلها في إيران نذكر منها: «العود» الصادرة سنة ١٩٩٠ م.، ورواية «الأرض المحروقة» الصادرة في العام ١٩٨٢ م. والتي تعد فاتحة الروايات الحربية التي صوّر فيها الكاتب وقائع الأيام الأولى للعدوان العراقي على مدينة الأهواز الإيرانية، فكان بذلك الضمير الصاحي للأجيال التي كانت غارقةً بالحديد والدخان.

(1) <http://www.ghoghnos.com/welog/archives/00495--html.000495>

أسباب نجاحه: من أهم أسباب الإقبال على أعمال «أحمد محمود» شفافيته العالية في الكتابة ومصداقيته في سكب تجاربه الخاصة وما كان يشعر به، بمنتهى القوة والبساطة، وهذا ما يبدو ساطعاً في روایتیه «الجیران» و«الأرض المحروقة»، ومن أهم الصفات التي كان يتميّز بها هي تحديده لخارطة عمله قبل المباشرة بالكتابة؛ ما أنشأ نقطة انعطاف تاريخية شكلت مركز التقل في أدبه؛ وبخاصة وأنه تناول معيار الواقعية مبدأً عاماً في قصصه ورواياته فاندفعت شخصياته للعمل بعفوية قلّ نظيرها دون تكلف، وجّل ما كان يهمه في قصصه هو أن تاج القلوب دون استئذان؛ وهذا ما ميّز رواياته من غيرها وجعلها سبباً مهماً في ارتقاءه.

مكانته في الأدب الروائي: استطاع «أحمد محمود» أن يبيّن في قصصه ورواياته وقائع الحركات الاجتماعية والإنسانية ونضالات دعاة الحرية بشكل حيٌّ ومؤثر، لدرجة أنه رهن حياته كلّها للكتابة ويفي متمسّكاً بقلمه إلى ما قبل نقله إلى المستشفى بأسوانين وكان يردد دائماً: «أشعر أنني سأموت إن لم أكتب». وقد جنح في كتاباته إلى تسليط الضوء على النضالات السياسية الهدافة إلى جعل صناعة النفط وطنية بحتة، وقد نجح في تصوير هذه المرحلة بنحوٍ محسوس وواقعي، واتجه إلى تصوير وضع السجن والسجناء انطلاقاً من تجربته المريرة كما تطرق إلى أساليب تعذيب المناضلين السياسيين. حتى صفت في عدد كتاب النماذج البارزين في الأدب الفارسي المعاصر وصنفت أعماله بأنها من أنجح النماذج الأدبية الإقليمية بعد أن أخذ اهتمامه بالجانب الاجتماعي لحياة سكان جنوب إيران الفقراء حيّزاً كبيراً من آثاره؛ ما دفع إلى تسميتها بكتاب الجنوب.

جائزة أحمد محمود الأدبية: قررت اللجنة المؤلفة من السيد «عيدي محمود محمد هاشمي» و«علي ياري» و«صفدر تقி زاده» و«ناصر تقواري» و«يار علي» منح أحمد محمود جائزة نobel أدبية في خريف العام (٢٠٠٠) ميلادية تقديراً لأعماله الإبداعية، وقد تم الإعلان عن هذه الجائزة في السنة الأولى التي تقرر فيها تقويم شراء وكتاب محافظة خوزستان؛ لكن سرعان ما أُجل الاحتفال إلى إشعار آخر بدعوى أن يكون على نطاق أوسع وأشمل في السنة القادمة.

ساعة رحيله: قبل يوم واحد من وفاته قال لأبنائه وهو يقبلهم: «أودُّ ومن كل قلبي أن أقبل جميع الإيرانيين»، وكانت هذه الجملة آخر ما نطق به الكاتب أحمد أعطا كما جاء على لسان أبنائه، ليرحل بعدها عن هذه الدنيا في الرابع من شهر أكتوبر من العام (٢٠٠٢)

م..، عن عمر يناهز الواحد والسبعين عاماً وإثر مرض رئوي أصابه، وليترك للأدب الإيراني المعاصر باقةً من آثاره الخالدة، التي ثمنته واحداً من أبرز الكتاب الإيرانيين المعاصرین الذين التزموا بأعمالهم القصصية والروائية هموم الناس ومعاناتهم اليومية في مناطق جنوب إيران.

وفي ما يلي مقتطفات من آراء بعض الأدباء والمفكرين بشخصية الكاتب أحمد محمود وإبداعاته.

#### ١- جواد مجابي: «لقد كان كاتباً للأرياف»

يمكنتني أن أعزّف «بأحمد محمود» أنه كان كاتباً «للأرياف» فهو من أكثر الكتاب الذين أعطوا أولى اهتماماتهم لحياة أبناء الريف الإيراني، وصوّر بشكل دقيق أمالمهم وتطلعاتهم ومشاكلهم مع أنَّ كتاباً قلةً صوروا هذه الظواهر في الحياة القروية؛ لذا نستطيع أن نطلق لقب كاتب الريف على أحمد محمود الذي لم ينس المهربيين منهم، وعمال السفن والنفط، وتطرق إلى معاناتهم من إضرابات وبطالة، وعذاب وتعب واستغلال.

وأخيراً يمكننا القول أنَّ «أحمد محمود» كاتب جنوب الكورة الأرضية أي ما يعرف بالعالم الثالث، وقد برع دوره في حمله للواء التحرير من قيود الاستغلال المبرمج.

#### ٢- بوران فرخ زاد: «لست حزينة لوفاة الكاتب أحمد محمود».

إنَّ أحمد محمود كان واحداً من كبار الكتاب الإيرانيين الذين يندر وجودهم، ورواية «الأرض المحروقة» تعبر عن آثاره الخالدة...

ثمَّ تتابع حديثها:

لطالما احترمه وأقولها بصرامة: لست حزينة لوفاته لأنَّ الموت لأمثاله حياة...  
وافتخر كلَّ الفخر أتنى أعيش في بلديضم في ربوعي كثيناً عظاماء أمثال «أحمد محمود»  
و«صادق هدایت» و«دولت آبادی».

#### ٣- أحمد إعطاء اللهـي: «أفكاره كانت دائِماً جديدةً»

أعرف «أحمد محمود» منذ خمس وثلاثين سنةً وغض النظر عن كتاباته أستطيع القول إنَّني لم أر في حياتي إنساناً متواضعاً مثله فقد كان يتجلَّ الظهور في حفلات التكريم أو اللقاءات التلفزيونية وبعد جهد جهيد استطعنا أن نجري معه حواراً صحافياً

مقدار صفحة واحدة اكتشفنا خلالها جدّة أفكاره التي كنا نلاحظها بشكل واضح في كتاباته. وعلى سبيل المثال هناك مساحة كبيرة من التجدد الفكري تفصل بين كتابه النثري «مدار الدرجة صفر» و«ابن المحلّة».

كان أحمد محمود على ثقة كبيرة أنَّ العمل والجد يطوران الرواية، ما جعله يسعى إلى التقدم والتطور برفقتهم.

#### ٤- منوچهر آتشی: «ولد أحمد محمود ليكون كاتبًا»

ترسخت ذكرياتنا عن طريق لقاءاتنا. من هنا أستطيع القول، إنَّه لو كان عندنا اثنان أو ثلاثة من الكتاب الذين تأصلوا في بيئتهم وأنساهم وحملوا، ونقلوا خصوصيات ديارهم وأفكار أهل زمانهم لكان «أحمد محمود» واحداً منهم.

لدينا الكثير من الكتاب والشعراء ولكننا نلمس أنَّ أفكارهم مستوردة ومكتسبة؛ لكن هناك من هم عصاميون ولدوا ليكونوا كتاباً ينطرون بلسان أهلهم ويحملون معاناتهم إلى العالم بأسره ومن الصفات التي كانت تعجبني في «أحمد محمود» عزّة نفسه وتواضعه؛ فقد عرفت أنَّ بعض المؤسسات الحكومية الإيرانية أرادت إرساله إلى الخارج ليكون في طليعة الوفود الأدبية لكنَّه رفض ذلك رغم إصرار أصدقائه عليه، وقدّمت له جوائز قيمة اعتذر عن استلامها مفضلاً تسليمها للشبان المثقفين تشجيعاً لهم على القيام بتأليف الكتب يوماً ما ودعم الثقافة الإيرانية.

#### ٥- محمد قاسم زاده: «كان لسان حال الأجيال كلُّها».

تميزت كتابات أحمد محمود بميزة:

- الأولى: استطاع أن يخرج الأدب من هيمنة السلطة وينقله على السياسة التي لونت كتاباته من أولها إلى آخرها.

فمنذ صدور أول كتاب له الذي يحمل عنوان «مول» إلى آخر كتاب بعنوان «شجرة تين المعابد» كانت السياسة محوراً أساسياً فيها، إلا أنَّها مع مرور الزمن بدأت تنتقل إلى الحاشية ليحل الأدب مكانها رغم أنَّها كانت كطعم السكر المذاب في الشاي.

ومن الميزات الأساسية الثانية في رواياته ذلك الطابع الأدبي الذي خصّ به أهل منطقة الجنوب الإيرانية فأحداث رواياته كلُّها تدور في تلك الضاحية حاملةً معها عبق



الحياة الجنوبيّة، التي تركت بصماتها على كثير من الكتاب الجنوبيين، الذين اتبعوا خطاه، ومشوا على نهجه؛ فكانت النتيجة أن تفوق الأدب الجنوبي على باقي المناطق الإيرانية الأخرى، وممّا لا شك فيه أنَّ اسم «أحمد محمود» أصبح من الأسماء الخالدة في تاريخ أدبنا، وإذا فتقينا عن سرّ هذه الشهرة نجده في منتصف كتاباته أوائل السبعينات بعد انتهاءه من رواية «الجيران» التي شكلت منعطفاً تحولَ منه إلى كتابة الروايات الكبيرة. في الوقت الذي كانت فيه قصصه القصيرة إحدى نقاط قوته التي انطلق منها ليصبح من أشهر كتاب الرواية المعروفين في البلاد، ومن خصوصيات أعمال «أحمد محمود» التي بخل الكثير في الحديث عنها هي روح الفكاهة التي كانت تظهر جلياً في معظم كتاباته.

لقد كان «أحمد محمود» أول من كتب روايات الحرب العراقيّة على إيران ووضع بهذا العمل الحجر الأساس لهذا النوع من الأدب فقد تميّز بحب الاطلاع وسعته مما جعله يلف البلاد كلّها لتشمل كتاباته طيّقاً واسعاً من الناس.

#### ٦- حافظ موسى: «في داخل أحمد محمود راوٍ كبير»

تحريك «أحمد محمود» دائمًا عكس التيارات المسيطرة على أداب العصر، ولم يكن في موقع المتشدد يوماً ما وبمعنوي آخر لم يسع وراء الموضة العصرية التي اتبعها باقي الكتاب في مرحلة من المراحل، ولم يحرّم نفسه من الآفاق المتقدّدة. لقد كان يمتلك ديناميكيةً في العمل جعلته يُعرف بأحد أشهر كتاب الروايات الأدبية في إيران، ولقد كان في داخله راوٍ كبير لا وجود له عند كثير من الكتاب الذين كانوا يسعون إلى زخرفة كتاباتهم عكس «أحمد محمود» الذي لم يكن بحاجة يوماً ما إلى ذلك، والسبب يعود في ذلك إلى أنه كان يمسك بحبل ألف ليلة وليلة في داخله. وكان يملك جمهوراً واسعاً من المخاطبين، بالإضافة إلى فن أدبيٍّ من الدرجة الأولى وهذا الحظ قلماً يتوفّر لكاتب ما.

#### ٧- فريدة خرمند: «نظرته الإنسانية كانت عالميةً».

أعتقد أنَّ قسماً كبيراً من شخصيّة كلّ كاتب يكون مخيّباً داخل آثاره الأدبية وأعترف بصراحة أنني لم ألتقي الكاتب كثيراً، إلا أنني يمكنني الولوج إلى كنه شخصيته وعالمه من خلال كتاباته، ومن أهمّ ميّزاته أنه استطاع أن يصوّر جانباً كبيراً من ثقافتنا الوطنية على أتمّ وجه، فأنا أفضّل تسميته بكاتب الأجيال كلّها فهو قد عاش مع الشعب، حمل هموم الأرض، صور عذابات الناس وأفراحهم وأتراحهم، مع أنه خصّ في كتاباته أبناء جنوب

إيران، إلا أنه خاطب كل الطبقات على اختلاف أطيافهم ومجتمعاتهم، ذلك لأنّه حمل في أعماقه تلك النظرة الإنسانية للأرض والمجتمع، وعندما يكون هدف الكاتب إنسانياً في مجتمعه تصبح نظرته عالمية أيضاً.

٨- صدر تقي زاده: رحل أحمد محمود تاركاً وراءه زيادة أعماله في ساحتنا الثقافية، لقد كان كاتباً من الطراز الأول وإنساناً شريفاً وصاحب فكر حر. ليس على صعيد منطقة الجنوب وإيران بل كانت له أيضاً ملامح بارزة وساطعة في ساحة الأدب العالمية. وقد ترجمت أعماله إلى عدّة لغات عالمية حيّة.

٩- فيروز زنوزي جلال: من عناصر الذكاء التي انفرد بها شخصية أحمد محمود هي تلك الخارطة التي كان يرسمها قبل مباشرته بأعماله وهذا الأمر في غاية الأهمية وبيدو جلياً واضحاً في «الأرض المحروقة» و«قصة مدينة». كما أنَّ الشخصية القوية تعمَّلماً في عمل أحمد محمود وأساساً في حلاوة كتاباته، وبخاصة أنه لم يسع كثيراً إلى إظهار إنقانه للهجات المحلية. وهذا ما يميّزه عن غيره من الكتاب الآخرين الذين عملوا في مجال الأدب المحلي<sup>(١)</sup>.

---

(1) cache of <http://www.ifve.com/reviews-bbc-ahmad-mahmood>.